دراسات الكتاب المقدس

خروج ٣: ٧-١٠ – الله يأتي بالخلاص

في سفر الخروج، نرى خطة الله العظيمة لخلاص شعبه. فقد عانى العبرانيون لسنوات طويلة تحت ظلم المصريين واضطهادهم. وعندما أمر فرعون بقتل جميع الأطفال الذكور من العبرانيين، ربما بدا أن الشر ينتصر. لكن الله كان يعمل بالفعل. فقد حفظ حياة موسى من خلال شجاعة أمه، ومن خلال عنايته الإلهية التي ظهرت أيضًا في ابنة فرعون، التي أخذته وربّته في القصر.

وعندما كبر موسى، تعاطف مع قومه وشعر بمعاناتهم. لكن بعد أن قتل مصريًا، هرب إلى برية مديان، وهناك أمضى أربعين عامًا يرعى الغنم. ومن المنظور البشري، ربما بدا موسى قائدًا فاشلًا يعيش في عزلة وبعيدًا عن الأنظار. لكن الله كان يواصل إعداده للمهمة التي تنتظره.

وعندما حان الوقت المناسب، دعا الله موسى للعودة إلى مصر. ولا تركز قصة الخروج على قدرات موسى، بل على تدخل الله وعمله. فقد سمع الله صرخات شعبه، وكان عازمًا على إنقاذهم. وهيّأ موسى للمهمة، وواجه فرعون بالآيات والعجائب، وأظهر قدرته من خلال الضربات. وفي النهاية، كان الله هو الذي جعل فرعون يطلق سراح بني إسرائيل، وقاد شعبه خارج العبودية.

كما أرشد الله شعبه في البرية. فقد ساعدت سنوات موسى في مديان على إعداده للقيادة، لكن الله هو الذي وفّر لهم التوجيه والحماية والرزق في كل خطوة من الطريق. ومن خلال عمود السحاب وعمود النار، ومن خلال المن والماء، أظهر الله أنه مخلّصهم ومعيلهم.

وبالنسبة لبني إسرائيل الذين كانوا يعيشون في العبودية، ربما بدا أن الله غائب أو غير مبالٍ بمعاناتهم. ومع ذلك، طوال تلك السنوات، كان الله يعمل في الخفاء ليحقق لهم الخلاص. وتذكّرنا قصة الخروج بأنه حتى عندما لا نستطيع أن نرى ما يفعله الله، فإنه يسمع صراخنا، ويبقى أمينًا لوعوده، ويعمل دائمًا لخلاص شعبه وفدائه.

المزمور ١٣ – طلب الخلاص

المزمور ١٣ هو صلاة شخص يتوق بشدة إلى الخلاص. ويُرجّح أن داود كتبه في الفترة التي كان فيها الملك شاول يطارده ويسعى إلى قتله. ويتكرر السؤال: **«إلى متى؟»** أربع مرات، كاشفًا عن عمق معاناة داود وشوقه إلى تدخل الله. فقد شعر بأنه منسي ومتروك، وكان الحزن يغمر قلبه.

وتذكّرنا صلاة داود بأن طلب الخلاص يبدأ بأن نضع آلامنا أمام الله بصدق وأمانة. فهو لم يُخفِ مشاعره، بل أخبر الله بأنه يشعر بالوحدة، وأن أعداءه يبدون وكأنهم ينتصرون. وكان قلبه ممتلئًا بالقلق، بينما كان يصارع أفكاره يومًا بعد يوم.

وغالبًا ما يختبر الذين يعيشون تحت تهديد مستمر، سواء بسبب الاضطهاد، أو السجن أو العنف أو غيرها من أشكال المعاناة، الصراع نفسه. فالخوف والعزلة قد يقودان الإنسان إلى الشعور بأنه منسي من الله ومن الآخرين.

وبينما كان داود يركّز على وضعه، استحوذ أعداؤه على جزء كبير من اهتمامه. فقد تخيّلهم ينتصرون عليه ويفرحون بسقوطه. لكنه، بدلًا من الاستسلام لليأس، اتجه إلى الله وطلب عونه. وصلى قائلًا: **«انظر إليّ وأجبني يا رب إلهي»**. وأدرك داود أن رجاءه لا يكمن في قوته الذاتية، بل في قدرة الله على إنقاذه.

وتأتي نقطة التحول في المزمور عندما يحوّل داود تركيزه من ظروفه إلى شخصية الله. فعلى الرغم من أن شيئًا لم يتغير ظاهريًا، اختار أن يثق في محبة الله التي لا تنضب. وانتقلت صلاته من الرثاء إلى الثقة، ومن الخوف إلى الإيمان.

إن طلب الخلاص لا يقتصر على أن نطلب من الله تغيير ظروفنا، بل يتضمن أيضًا أن نختار الثقة به ونحن ننتظر إجابته.

وفي نهاية المزمور، يفرح داود ويسبح الله. فهو واثق من أن الله قد سمعه وسيتدخل من أجله. وقد تبقى ظروفه صعبة، لكن قلبه قد تغيّر. إنه يتذكر جود الله ويضع مستقبله بين يديه.

ويعلّمنا المزمور ١٣ أنه عندما نطلب الخلاص، يمكننا أن نُفضي إلى الله بأعمق مخاوفنا وتساؤلاتنا. فهو يقبل صلاتنا الصادقة، ويسمع صراخنا، ويلتقي بنا في وقت ضيقنا. وعندما نوجّه قلوبنا نحوه، يستبدل اليأس بالرجاء، ويساعدنا على الثقة في محبته التي لا تنضب.

٢ تيموثاوس ٣: ١٠-١٧ – الاستعداد للاضطهاد

في وصاياه الأخيرة إلى تيموثاوس، يُهيّئ بولس تلميذه الشاب لمواجهة حقيقة الاضطهاد. فبدلًا من تصوير الحياة المسيحية على أنها حياة سهلة أو خالية من المشقة، يعلّم بولس أن المعاناة قد تكون جزءًا من اتباع المسيح بأمانة.

لقد رأى تيموثاوس جوانب كثيرة من حياة بولس، بما في ذلك تعليمه، وسلوكه، وهدفه، وإيمانه، وصبره، ومحبته، وثباته. وقد شكّلت هذه الصفات نموذجًا لتيموثاوس ليقتدي به، ولا سيما في أوقات الشدة.

ثم يذكّر بولس تيموثاوس بالاضطهادات والمعاناة التي احتملها. ولم يكن تيموثاوس على علم بهذه الصعوبات فحسب، بل شهد أيضًا أثرها على خدمة بولس. ومع ذلك، فإن هدف بولس من ذكر هذه التجارب ليس التركيز على المعاناة بحد ذاتها، بل التأكيد على أن **«الرب أنقذني منها جميعًا»**.

ويحتاج تيموثاوس إلى أن يفهم حقيقتين معًا: الاضطهاد واقع يمكن أن يواجهه المؤمن، وأمانة الله أمر مؤكّد. فالله الذي ساند بولس يمكن الوثوق به لكي يسند شعبه في كل تجربة ومحنة.

ثم يقدّم بولس تصريحًا جادًا وواضحًا: **«وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ»**.

فالاضطهاد ليس استثناءً يقتصر على قلة من المؤمنين، بل هو احتمال وارد لكل من يسعى إلى اتباع المسيح بأمانة في عالم يعارض الإنجيل. ولذلك، يجب على تيموثاوس أن يكون مستعدًا، وألا يتفاجأ عندما تأتي المعارضة.

كيف يُرشد بولس تيموثاوس إلى الاستعداد؟

إنه يوجّهه إلى الكتب المقدسة. فقد عرف تيموثاوس الكتب المقدسة منذ صغره، وقد جعلته **«حكيمًا للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع»**.

ويوضح بولس أن كل الكتاب موحى به من الله، ونافع للتعليم، والتوبيخ، والتقويم، والتدريب على البر. ومن خلال كلمة الله، يتجهّز المؤمنون لكل عمل صالح، ويتقوّون لكي يظلوا أمناء وثابتين تحت الضغط.

وعندما نتأمل اضطهادات بولس، وندرك الاضطهاد الذي يواجهه المسيحيون حول العالم اليوم، نتذكّر ضرورة الاستعداد الروحي. فالاستعداد للاضطهاد يبدأ قبل وقت طويل من ظهور المعارضة. وهو يتضمن بناء أساس متين في كلمة الله، وتنمية الصبر والإيمان، وتعلّم الثقة بأمانة الله في كل الظروف.

ومن خلال التمسك بكلمة الله، والاقتداء بمثال المؤمنين الأمناء الذين سبقونا، يمكننا أن نكون مستعدين للثبات في الإيمان، عالمين أن الله يبقى مع شعبه في كل تجربة ومحنة.

خلاصة

تجمع هذه النصوص الكتابية الثلاثة رسالة واحدة مهمة: **الله يسمع صرخة شعبه، وهو أمين في وعوده، ويهيّئ شعبه للخلاص وللثبات في أوقات الاضطهاد.**

قد تمر علينا أوقات يبدو فيها أن الله بعيد أو أن الشر ينتصر، لكن قصة الخروج تذكّرنا بأن الله يعمل حتى عندما لا نرى عمله. ويعلّمنا المزمور ١٣ أن نأتي إليه بصدق في أوقات الألم والخوف، وأن نضع ثقتنا في محبته التي لا تنضب. أما تعليم بولس في ٢ تيموثاوس فيدعونا إلى أن نكون مستعدين روحيًا، وأن نثبت في كلمة الله، وأن نثق بأمانته مهما كانت الظروف.

فالله الذي خلّص شعبه، وسمع صلاة داود، وأنقذ بولس في وسط اضطهاداته، هو نفسه الله الأمين الذي يبقى مع شعبه اليوم، ويمنحهم القوة والرجاء والثبات حتى النهاية.